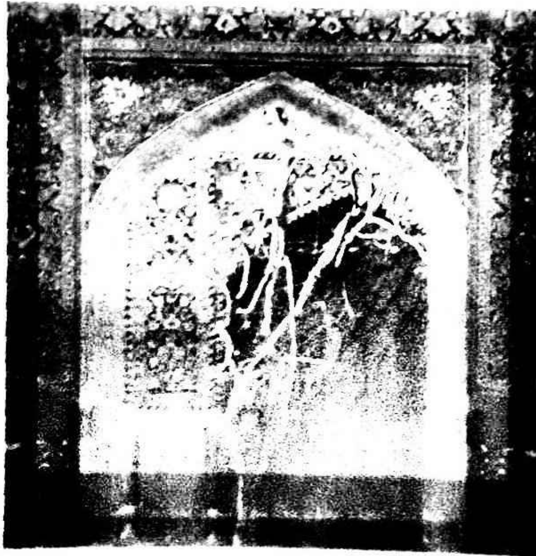
العلامة الشيخ محمد علي عز الدين

سوق المعادن

وكل ما يسر الأفئدة والمقل



تحقيق ومراجعة: حبيب جابر



المجلس الثقافي

[illegible] في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، بالغ السعادة، أن نتقدّم، اليوم، من صفوة [illegible] تراث جبل عامل الثقافي، بأثر، محمود الذكر، من آثار هذا التراث المجهولة [illegible] منها كبير، نظراً لما اختلف على الجبل العاملي من محن كارثية ونكبات داميات [illegible] وأفدحها ضرراً، إبّان الحكم العثماني التسلّطي. تلك الغزوة البربرية التي شنّها [illegible] بأنيابه بحافل القتلة والهدّامين.

[illegible] الأثر التراثي الثمين، الذي قيّض لنا، أخيراً، أن نعثر على مخطوطته المفقودة، ما [illegible] المعادن» للمغفور له العلاّمة الشيخ محمد علي عز الدين العاملي. وأخيراً قُيّض لنا [illegible] أن نعثر على هذه «المخطوطة» فنصرف، من فورنا، إلى دراستها وتحقيقها ثم إلى [illegible] أخيراً، تحقيقاً لهدف رئيسي من أهداف المجلس.

[illegible] في رأس الأهداف، التي ما نشأ المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (عام ١٩٦٤) [illegible] تحقيقها في مسيرته الثقافية، هدفٌ، محدّد بوضوح ودقّة، يقول حرفياً: «المحافظة [illegible] العاملي والعمل على كشف كنوزه ونشر أهم آثاره من المخطوطات القيّمة».

[illegible] سعياً لتحقيق هذا الهدف الرئيسي لم يدّخر المجلس وسعاً إلاّ بذله، ولا وسيلة إلاّ توسل [illegible] أدّى بالعثور على جملة من المخطوطات العاملية القيّمة، فعكف عليها درساً وتدقيقاً [illegible] أخذ بنشرها، تباعاً، في سلسلة كتب أطلق عليها عنوان «من التراث العاملي» وقد بلغ [illegible] أربعة عشر كتاباً.

[illegible] اعترافاً بفضل «مؤسسة الانتشار العربي» علينا لإنجاز هذا المشروع التراثي فيسعدنا أن [illegible] ها الصديق العزيز الأستاذ نبيل مروة عن جزيل شكرنا وبالغ تقديرنا.

حبيب صادق



5 ـ ● كتب الصاحب بن عَبّاد(1) إلى قاضيه بِقُمّ: «أيها القاضي بِقُمّ قد عزلناك فقُمْ، يدك في الكتاب ورجلك في الرِّكاب» فقيل للقاضي: لِمَ عَزَلَكَ؟ قال: لا أرى لي ذنباً إلّا مُوَافقةَ السَّجْعَة.

⊛ ⊛ ⊛

● لمع تاريخية سنة 1268هـ:

1 ـ ● دُكّان فيه بعض بَدَائع الزمان في بَيَان ما في هذا الدّكّان من حوادث الزمان، من سنة 1268هـ إلى نهاية خمس وسبعين ومائتين وألف هجرية، فمنها:

ما جرى في عصرنا من الحوادث الواقعة في هذه السنة، وهي سنة الثمانية وستين بعد الألف ومائتين من هجرة سيد المرسلين ﷺ في أوائلها، وأظنه شهر ربيع:

جاء مصطفى باشا إلى تبنين وغيرها من الألوية في بلادنا، وجمع الناس وأخذ في العشرة أنفس، من السنّ خمس وعشرين، واحداً للنظام(2)، بعد أن كانت الأنفس حُسبت بأوامر سلطانية، وبعد أن أخذ مثل ذلك من الشام ونواحيها، والحال في شرح ذلك يطول.

2 ـ ● وفيها: كسفت الشمس عند العصر، وفيها، في شهر ذي القعدة، شاع الخبر في سائر الأقطار الشّامية بذبح الدّجاج البالغ من العمر سنة أو حولها، مُعلّلاً ذلك بأن ماء نيسان في تلك السنة فاسد ويتولّد عنه في بطون الدجاج حيّات، وقد نظرنا في الدّجاج فوجدنا في بطون كثير منه، في الأمعاء، شبه الدّود ما يبلغ الشبر أو أقلّ طُولاً، وفيه صغير وكبير، ولم يظهر لنا إلى الآن عاقبته، ولا ندري أن هذا هل كان يوجد في غير هذه السنة أم لا؟

⊛ ⊛ ⊛

(1) الصاحب بن عبّاد (326 . 385هـ)، ولد في بلدة طالقان من أعمال قزوين. أخذ في شبابه عن ابن العميد واشتدت صحبته له فسمي الصاحب لذلك ثم وزر لمؤيد الدولة البويهي. كان عنده ولع بالكتب وامتلاكها ومطالعتها وكان مجلسه ندوة للأدب والمناظرة.

(2) النظام: نظام الجندية المعمول به في العهد العثماني أو نظام السخرة.

3 ـ ● وفيها، اشتدّ الحرب في العراق بين أهلها وبين الوزير وجيه باشا، وقبض على جملة من مشايخ العرب، مثل كريدي بن ذرب آل شلال الخزاعي، وابن عمه محمد آل عباس وغصب العجّة، من بني حسن، وعلوان الطفيلي، وحجيل شيخ جليحة، وأرسلهم إلى السلطان في القسطنطينية بعد أن كان صدر منهم حروب كثيرة في السّنتين السابقتين.

4 ـ ● وفيها، خرجت حوران واللّجا وجملة من طائفة الدروز في اللّجا، وتوجّه رئيس العساكر الشامية لحربهم، وأنفذ أمراً إلى رئيس عشائر بلادنا، حمد البيك ابن محمد النّصّار في ملاقاتهم، فوجّه الأوامر إلى البلاد بتجهيز العساكر، وامتنع عليه جملة من أولاد العشائر خوفاً على بلادهم من أنهم إذا خرجوا منها، يأتيها العدوّ.

5 ـ ● وفي أثناء ذلك دخلت سنة التسع وستين، وكان ابتداؤها يوم الجمعة، فإنه كان أوّل محرّم، وما مضت منه أيام، حتى غزا جملة من العرب البلاد، فجاءوا إلى الخيام، وساقوا جملةً من الغنم ووقعت الغلبة على أهل الخيام، وجاء الصوت إلى تامر بيك فلم يقدر على اللحوق بهم.

6 ـ ● وفي اليوم الثامن من المحرّم، غَزَا جماعة من العرب طَرَفَ البلاد من جهة مقام نبيّ اللّه يوشع، فاستاقوا جملة من الغنم التي لزبيد، طائفة من العرب، وكانوا قد نزلوا مرج قدس وأخذوا ثلاثة حمير لأهل قدس، فجاءهم أهل عشرون وبعض المغاربة النّازلين بديشوم وأهل قدس، ووقع بينهم وبين الغزو حرب، فقُتل ستة من الغزو(1) ورجل فارسي، وجُرح من أهل البلاد اثنان ومن المغاربة اثنان.

وجاء الخبر إلى حمد البيك، وكان قد عَسْكَر في سهل سوق الخان من أرض تبنين، فأمر بنقل المعسكر إلى عين قَدَس، ثم مضى بعد إلى أرض الخيط وخيّم على جسر المجامع، وانتهب جملة من جياد خيل عرب (آل قيس)، ولما انقادوا له، ردّها إليهم وبقي على الجسر أياماً ثم كرّ راجعاً إلى قدس.

(1) الغزاة.

وجاء الخبر من رئيس العساكر بوقوع الصلح بينه وبين اللّجا، بعد أن وقع بينهم حرب في بلدة تسمّى (أذرع)[1].

7 ـ ● وفي تلك السنة، كان توجُّهنا إلى الحجاز قصداً للحجّ الشريف، في سابع شوال على طريق البحر، فمررت على غزّة هاشم ولقيت جملة من فُضلائها، وجرى بيني وبينهم مكالمة ومناشدة أشعار، فحفظوا عنّي وحفظت عنهم، وشاهدت من أنسهم ما لا يسع المقام بسطه.

8 ـ ● وفي أواخر ذي القعدة، دخلنا مكّة المشرّفة وشاهدنا أنوارها، ومما وقع فيها تلك السنة من الغرائب، أنّا كنّا في الحرم الشريف، فهبّت ريح عاصفة لم يُسمع مثلها، حتى أن الرجل لم يملك نفسه من الجلوس فضلاً عن الوقوف، ثم اشتدّت حتى أنها عبثت في قناديل الحرم الشريف فتكسّرت حتى لم يبقَ منها إلّا القليل، وكنا نرى الحُصُر والبواري تتطاير في الهواء كأنها ريش الطيور وانقلب صفيح الرصاص من المقام الحَنفي حتى تعجّب منه أهل مكة. وحكوا جميعاً أنه لم يُسمع مثل ذلك في سالف الزمان، ثم تعقّب ذلك بسيل عظيم.

9 ـ ● ووقع في تلك السنة في بلاد الحجاز من السيول ما لَمْ يُسمع مثله، مع أن الزمن كان في الصيف، ومن جملة تلك السيول أن الحاج الشامي والعراقي، خرج في سابع وعشرين ذي الحجّة على الطريق الشرقي، فلما وصل إلى وادي الليمون عن مكة ثلاث مَراحل وهو واد عظيم فيه أنهار ومزارع، فنزل الحاج فيه للرّاحة والتأهبّ، حتى إذا كان بعد زوال الشمس بساعة أو أكثر، هبّت ريح عظيمة أثارت القَتام حتى امتلأ الوادي، ثم جاء السيل كالبحر، فلم نرَ إلّا خياماً منكوسة وأمتعة مقلوبة، وأخذ أكثر ما في بطن الوادي من الإبل والخيام والأمتعة وغيرها.

قالوا إنه أُحصي ما ذهب من الإبل في السيل، فكان خمسمائة وأزيد، ومن الأمتعة ما لا يحصى حتى صار بعد ذهاب السيل غنيمة للعرب من أهل الوادي، وأخذ من الحُجّاج ما يزيد عن ثلاثين نفساً، منهم من أخرج بعد السيل ودُفن ومنهم

(1) أذرع: بلدة سورية وهي اليوم مركز (محافظة درعا).

من بقي، وأكثر ما وقع التلف في الحاج العراقي، فإنه كان في بطن الوادي من إعلاء، فلم يشعر الناس إلّا والماء قد فاض عليه.

وكنتُ مع أهل بلادنا على تَلْعة في بطن الوادي، فكان الماء محيطاً بخيامنا كأنّا في جزيرة، ولم يُصبنا بحمد اللّه شيء إلّا خيمة واحدة كانت أسفل، تسابقنا إلى نَقْلها ونَقْل أمتعتها، فلم يذهب إلّا شيء قليل. وكان فيها رجل ومعه زوجته، وهو مريض، فأخذه الماء، فَسارعت المرأة فأخرجته والحمد لله.

10 ـ ● وفاة حمد البيك: وفي تلك السنة، في غيبة الحجّاج، تُوفي رئيس العشائر حمد البيك، فعظم مصابه في البلاد وتولّى بعده ابن أخيه علي بيك الأسعد، زاد اللّه في توفيقه وتأييده، فأحسن السيرة وخلع على بني عمه وعلى وجوه أهل البلاد من الخُلع السنّية والهدايا والألطاف من خيل وسلاح وساعات وغيرها، ما أرضى الخاصة والعامّة، واشتهر ذكره ومشى صيته حتى قال الناس: إن عمّه لم يمت.

حرب الترك:

1 ـ ● وفي تلك السنة، نشبت الحرب بين ملك الإسلام سلطان السلاطين عبد المجيد وبين ملك المسكوب[1] من بني الأصفر، وتفاقم الأمر وعظم، وتجهّز الفريقان بجندهم وجهدهم، وقد صار بينهم جملة من وقائع عقيمة، وإلى الآن من مضيّ سنة ونصف (السنة) لم تنتهِ الحرب ولن تنتهي، نسأل اللّه تعالى أن يمدّ المسلمين بالنصر ويحفظ ديارهم من مكائد العدوّ، فإن هذه الحرب لم يجرِ مثلها من مُضيّ خمسمائة سنة، لا سيما مع تخاذل المسلمين وضعف الدين وكثرة الفاسقين والمُعاندين والغادرين والمُنافقين وهَتْك حرم الإسلام وكثرة المحرّمات كالزّنى واللّواط وشرب الخمور وجور العمّال[2] والقضاة وحيرة العلماء وقلّة الحياء والمعروف في الرجال والنساء، حتى لم يبقَ من القرآن إلّا اسمه ومن الدين إلّا رسمه، نسأله تعالى بتعجيل الفَرَج بأهله.

2 ـ ● وفي أثناء ذلك دخلت سنة السبعين 1270هـ، ووقع فيها من الأمطار ما

(1) المسكوب روسيا القيصرية.

(2) العمال: الولاة والحكّام.

أنعش البلاد والعباد وكثرت الخيرات، إلّا أن كثرة المطر أفسد كثيراً من الأشجار كاللوز والكمثرى والخوخ وغيره، حتى آل الأمر إلى أن فسد العنب وأتى عليه ضربة بعد أن عَضرَم اسودّ ويبس وتهرّى على وجه لم نسمع مثله، والتين والزيتون حملا حملاً عظيماً، إلّا أن التين في آخره وقع عليه نقيصة، وصحّ العَسَل في تلك السنة جداً على وجه سَدَّ مَسَدَّ دبس العنب كثرة.

3 ـ ● وفي تلك السنة توفي رئيس العلماء في العراق شيخنا الأكبر الشيخ محسن بن خنفر، وقد كنت قرأت عليه جملة من الأصول والفقه على طريق الاستدلال، فلقيتُ منه بحراً زاخراً وسحاباً هامراً، بل لم أرَ مثله، قدس سرّه، في جمع العلوم وحفظ الدقائق من الأصولين والعربية والحديث والرجال والاطلاع على علوم الأوائل، وكانت وفاته في زمن الوباء في العراق، ورثاه جميع الشعراء في العراق بالمَراثي الجيّدة.

ومات من العلماء في العراق أيضاً تلك السنة، شيخنا المرتضى الرضي زين العابدين، وكان بحاثاً حضرت بحثه جملة من الزمان.

4 ـ ● وفي تلك السنة، ورد رفيقنا في التدريس العالم العابد الشيخ سلمان عسيلي من العراق إلى جبل عامل.

5 ـ ● **غزوة علي بك:**

وفي تلك السنة، في شهر ذي الحجّة، غَزا علي البيك طائفة من عرب اللّهيب بيتهم وصبحُهم بُكرةً، فنهب جملة من أموالهم وأسر بعض الرجال وهرب الباقون، والسبب في ذلك أنهم بغوا في البلاد وتَلَصَّصوا حتى سرقوا جملة من الأموال وهم متحصّنون في بلاد صفد، إلى أن غزاهم، آيّده اللّه، فانقطعت مادة فسادهم وعرف بعض الناس ما سُرِقَ له، فأخذه بعد أن جاء الأمر من المشير وامق باشا بتحقيق ذلك، وأنّ كل من عرف شيئاً من المنهوبات فهو له.

6 ـ ● **قتل الشيخ إبراهيم يحيى:**

وفي أثناء ذلك، دخلت سنة الواحدة والسبعين 1271هـ، وكان مطرها في الغالب غير عام، وبسبب ذلك حصل الإقبال في مزروعات الجبال دون السّواحل.

وفيها، غزا بعض عرب الفضل البلاد وقتلوا أحد شعرائها وهو الشيخ إبراهيم ابن الشيخ نصر اللّه ابن الشيخ إبراهيم يحيى الشاعر العالم المشهور، ذو اليد الطولى في تخميس الشعر، فكم له من فضيلة في ذلك، يكشف عنها من نظر تخميسه لقصائد أبي فراس والتّترية وغيرها[1]. ثم بعد أن قُتل المذكور ووصل الخبر إلى أميرهم، وهو حسن آل فاعور، أمر بالرحيل إلى حوران والجولان خوفاً من الغيلة وطلب الثأر.

7 ـ ● وفي تلك السنة، في سادس عشر رمضان، حدث حرٌّ عظيم وأرياح غربية وشمالية على خلاف المُعتاد، أثّرت في العالم أثراً عظيماً. ثم دخلت السنة الثانية والسبعون وحصل في أوائلها قلّة أمطار وكثر في الآخر حتى حَسُن الزرع جداً، لا سيما نحو العدس والفول والكرسنّ والشعير، ومع ذلك كانت السواحل أحسن من الجبال.

8 ـ ● **تامر بيك وابن عمه:**

وفيها رجع تامر بيك إلى محلّه حاكماً على عادته، بعد أن عُزل وذهب إلى مصر ثم إلى القسطنطينية، ولما رجع لاقاه أخوه وأبناء عمّه مُحاربين له مُجَرّدين كثيراً من أهل البلاد، وجرى بنيهم حرب في أرض الخيام وإبل السقي ووقْعة أخرى في تبنين، ثم جرى الصلح.

9 ـ ● وفي هذه السنة، وقعت الهدنة بين المسلمين ومن تبعهم من الدّول وبين المسكوب، بعد أن جرى بينهم حروب كثيرة على ما تقدّم الإشارة إليه.

10 ـ ● وفيها صار وباء عظيم في العراق، مات فيه عالم كثير، وكان من جملة المفقودين، شيخنا الشيخ مشكور الحولاوي، وكان من الفضل والوَرَع والنّباهة بمكان عظيم، وقد حضرت درسه مدة من الزمان.

---

(1) الشيخ إبراهيم يحيى: شاعر فحل مدح آل نصّار وآل الفارس الصعبي، وله في علي الفارس الصعبي القصائد «المحبوكات» التي عارض فيها الشاعر صفيّ الدين الحلّي. له ديوان مخطوط قدرت أبياته بأربعين الف بيت جلّها مفقود. انظر: اعيان الشيعة، المجلد الخامس طبعة أولى، أيضاً مخطوطة ديوانه النجفية وهي قيد التحقيق موجودة صورتها في حوزتنا.

11 - ● وفاة الأمير عسّاف الحرفوشي:

وفيها توفي الأمير عسّاف الحرفوشي[1] بعد أن كان محبوساً في القسطنطينية وهرب ورجع إلى بلاده، وأظهر المُباعدة للدولة فأمّنه الوزير وجعله من جملة القوّاد، ولما مات وبلغ الخبر إلى أخيه الأمير خليل، وَجَدَ عليه كثيراً وقتل نفسه وَجْداً بالسلاح، عفى الله عن المؤمنين.

12 - ● وفيها وقع مطر عظيم وسيل شديد في أيّام الربيع وتعاظم في بلاد أزبا (أوروبا) حتى أهلك جملة من زروعها ومواشيها، وأغرق جملة من بلاد فرنسية حتى أن الأخبار من قبل الدولة جازمة بأنه هلك من تلك البلاد نحو الثلث من جميع الموجودات، وطغى الماء عليها حتى أن بعض المدن صارت كالبحر يُسرى فيها بالسفن، وسمّوا ذلك: الطوفان الصغير، إذ لم يُعهد مثله بعد طوفان نوح إلى زماننا هذا.

13 - ● وباء في منًى ومكة:

وفيها وقع بالحاجّ وباءٌ عظيم أهلك ما يزيد على النصف، وأكثر ما حلّ في منًى ومكة المشرّفة.

14 - ● حرب في مكة:

وفيها رجع الشريف محمد بن عون من القسطنطينية إلى منصبه وعصى عليه الشريف الذي في مكة، وهو عبد المطلب بن غالب، وحصل بينهما حرب في مكة وفي المسجد الحرام، وكانت الغلبة لمحمد وهرب عبد المطلب إلى الطائف.

● سنة 1273هـ:

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون، وبها وقع قَحْطٌ عظيم في أوّل السنة، ثم كثر المطر بعد الإياس[2] ووقع الثلج على وجه قلّما وقع مثله كثرةً، وقويت نُبوع الماء بعد ضعفها ممّا يزيد على أربع سنين.

(1) انظر نسب الحرافشة وبدء إمارتهم في «تاريخ الشيعة السياسي»، للشيخ سليمان ظاهر، مجلد 3، صفحة 5 - 9، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(2) إياس: القنوط. اليأس، مصدر الفعل أيس.

1 - ● حرب الإنكليز والعجم:

وبها ابتدأت الحرب بين الإنكليز والعجم، بعد أن كان العجم قد استولوا في السنة الماضية على هَرَات، وهي وإن لم تكن للإنكليز، ولكن صبرورتها في يد العجم مضرّة على الإنكليز، لأنها كالحاجز، والآن قد جهّز الإنكليز جيشاً يقرب من عشرين ألفاً وحطّوا على بندر أبو شهر، ثم استولوا على البلد وأخذوها عنوةً بعد وقوع حرب عظيم ونُهبت البلد وسُبيَتْ، وكان مُحاربةُ العجم فيها قليلون، نحو ألف نفر فقط، والله المسؤول نصره للإسلام.

2 - ● محمد الأسعد والي صفد:

وفيها تولّى محمد بك الأسعد مقاطعة صفد من قبل وامق باشا مُشير بيروت.

3 - ● زلزال مصر القوي والجدري في لبنان:

وبها صارت زلزلة وقعت قويّة في بلاد مصر، وأقوى ما كانت في جزيرة جريد[1]، هدمت منها دوراً كثيرة وأهلكت عالماً كثيراً. وبها كثر مرض الأطفال في بلادنا بالجدري والدّشيشة ونحوها، وحصل فيهم موت ذريع[2]، وقد وقع ذلك في مربّعانية الشتاء، فكان هو المعين على شدّته، والله الفاعل لما يشاء.

4 - ● غزوة الحبشة:

وفيها تجهّزت العساكر المصرية بهمّة واليها سعيد باشا على بلاد الحبشة، بعد أن كان التعدّي قد حصل في الحبشة واستخلصوا من بلادهم التي في يد المصريين، مَشْي عشرين يوماً[3].

5 - ● عجيبة خَلقية:

وفيها وُلدت في رامية، قرية من قرى بلادنا، بنت بأربع أيدي وحقوين وعينين طيبين وخلقة عجيبة، إلّا أنها وُلدت ميتةً والحمد لله.

(1) جزيرة جريد: جزيرة كريت اليونانية.

(2) ذريع: لها معنى واحد في اللغة هو سريع.

(3) مَشْي: مسيرة عشرين يوماً.

● حرب بني الغائر

وفيها في شهر شعبان، في فصل الربيع، وقع حرب بين عقيل آغا الحاسي رئيس الهوّارة وبين محمد سعيد آغا، أحد رؤساء الأكراد قرب طبريّا، واستمرّ الحرب قرب ساعتين، وكان ذلك عند الصباح، وكانت الهزيمة على محمد سعيد بعد أن قُتل أخوه وما ينوف عن مائة من أتباعه غير الجرحى.

سنة 1274هـ

1 ـ ● ثم دخلت سنة الأربع والسبعين، وبها وقعت بين العجم والإنكليز الهدنة، بعد أن استرجع العجم البندر وقتلوا من فيها من مُقاتلة الإنكليز.

2 ـ ● وبها كثرت الأمطار جداً، على خلاف العادة في السنين التي تقدمت، وصلحت الأشجار والأثمار ورخصت الأسعار حتى بيْعَ الخيار ثماني أُقق بقسطنطينية، بقرش، والمشمش عشر أُققٍ بقرش وهكذا، بعد أن كانت الأسعار منذ اثنتي عشرة سنة في غلاء زائد، وبيْعَ مدُّ الحنطة بقرشين والذّرة بقرش ونصف القرش. وبها وقعت الفتنة بين طائفتي عنزة، ورئيسهم إذْ ذاك محمد بن سمير وبين الرّوَلة ورئيسهم فيصل بن نايف الشّعلان، وجرت بينهم وقعات عدّة في الجولان وحوران، وآخر وقعة منها كانت الهزيمة على محمد ونُهبت أمواله، إلّا أن المقتولين من رجال فيصل أكثر، وقُتل معهم جملة من رؤساء الدروز منهم ابن إسماعيل الأطرش، كبير دروز اللّجا، والتجأ محمد إلى تبنين إلى حضرة علي بيك الأسعد، فأخذ في التجهيز معه وإعمال الآراء في انحلال الدروز عن فيصل، فانحلّوا وألقى عليه الرعب فضرب في البرّ.

3 ـ ● وبها دخل عمر باشا رئيس العساكر العثمانية بغداد، بعد أن كان مرّ على دير الشعّار فأوقع فيه، وجرى بينه وبين أهل الدير حروب كانت الغلبة عليهم، وألقى الرّعب في قلوب أهل العراق، ولما وصل إليها أخذ منها أشخاصاً للعسكر بالقُرعة، من بغداد وبلد الحسين ومشهد عليّ ﷺ. واضطربت عليّة العراق وهي إلى الآن في اضطراب وأكثرها خارج عن الطاعة.

1 ـ ● سنة 1275هـ

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون، وبها خرج النجم العظيم[1] له شعاع طويل يزيد عن طول رُمحين، خرج من جهة الشمال مما يقرب من بنات العشى، ثم أخذ في الانحراف إلى القِبْلة وهو الآن في العقرب قد صار له من يوم طلوعه نحو شهرين، وحدث في تلك البرهة أمراضٌ عظيمة في كثير من الأقطار.

2 ـ ● وفيها وقعت فتنة بين الشّقران رؤساء نابلس وبين الصقر، وكانت الغلبة على الصقر، قُتل رئيسهم رباح السعيد وما ينوف عن ألف نفس من الفريقين.

● ووقعت حروب عدّة في العراق بين عمر باشا وبين أهلها. ووقع في أواخر جمادى الثانية ثلج وبرد في غالب البلاد وحصل قبله ليلاً ريحٌ عاصفة اقتلعت جملةً من الأشجار حتى أن شجرة الزيتون الكبيرة نقلتها الريح بأصلها وجميع ما فيها عن مكانها سبع أذْرُع، وتكسّر في البحر في بيروت وصور وعكّا وصيدا وغيرها أكثر المراكب، مشحونة وغير مشحونة، وبعد ذلك بأيام حصل زلزلة، إلّا أنها كانت خفيفة قليلة الضرر والحمد لله.

● وفيها حصل نقص كثير في الدّواب لا سيما الغنم والماعز والبقر، فربّما أن بعض القطعان لم يبق منها شيء، وبعضها تلف النصف والثلث والربع ونحو ذلك، وكثير من تلك الدّواب كان سبب موتها الجوع والبرد، حيث إن الأرض كانت خالية من العشب لعدم المطر في أوّل السنة، وإن كثُر في آخرها، مع ما حصل من الغلاء في التبن والشعير، فقد بلغ ثمن زنبيل التبن تسعة قروش، وهذا شيء ما رأيناه ولا سمعنا بمثله ولا حُكي لنا، وكذلك سعر السّمن فإنه ارتفع حتى بيعت الأقّة بستّة وثلاثين قرشاً، ووردت علينا الأخبار من العراق أنها بلغت حساب الأربعين.

ومن العجائب أن الحوادث في هذه الأزمنة، غالباً عامةً كائنة ما كانت وكان ذلك لعموم المعاصي في سائر الأقطار.

⊛ ⊛ ⊛

(1) المذنب هالي.

غُمّة، فإني لم أزلْ مُتفكِّراً في ذنب هذا الحيوان الصامت، بأيِّ شيءٍ استحقَّ الذم، فكتاب الله تعالى يقول فيه: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1].

❀ ❀ ❀

118 ـ ☐ وحيث كان ابتداء هذا الفصل بالحُجج القاطعة والأجوبة المسكِتة من الكتاب العزيز، فلنختمه بمثلها.

فمنها قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام جَواباً لِمُشركي قومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾[2] فــأيُّ الفريقين أحق بالأمن؟

❀ ❀ ❀

119 ـ ● ومنها حكاية عن موسى، لما قال فرعون له ولِهَارون: من ربّكما يا موسى؟ قال: ربنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى، قال: فما بال القرون الأولى؟ قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[3].

❀ ❀ ❀

120 ـ ● ومنها حكاية الاعتراض عن بعض المنافقين الذين قالوا لإخوانهم: وقعدوا ولو أطاعونا ما قُتلوا، فأمر الله تعالى نبيّه بالجواب: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4].

❀ ❀ ❀

121 ـ ● ومنها جواب لمُنكري البعث حيث قالوا: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[5].

(1) سورة لقمان، الآية: 19.
(2) سورة الأنعام، الآية: 81.
(3) سورة طه، الآية: 52.
(4) سورة آل عمران، الآية: 168.
(5) سورة يس، الآيتان: 78 ـ 79.

من تاريخ جبل عامل في سنة 1281هـ

1 ـ ☐ في سنة إحدى وثمانين، وفد إلى الدّيار الشامية جَرادٌ كثير، دفعات متعددة حتى ملأ البلاد وباضَ وفرّخ وأكل كثيراً من الزروع الشتوية، ولم يدع من الصيفية إلّا القليل، وفعل بالأشجار ما لا تفعله النار بيابس الحطب، وهو باقٍ إلى الآن وقد صار له ما ينوف عن تسعة أشهر، وقد صار له في الدّيار الحلبيّة والعراق نحواً من أربع سنين، وأظنّه هذه السنة فارقهم ورافقنا، نسأل الله أن يُعجّل فراقه، فإن بلادنا لا تحمله أكثر من هذا.

ونقل لي من كان في بلاد العجم أنه موجود في تلك البلاد، واشتهر النقل أنه كثير في أطراف الدّيار المصرية.

❀ ❀ ❀

2 ـ ☐ وفيها كثر الهدلان[1] في البقر ومات كثير في جملةٍ من القُرى من بلادنا، وزاد في نواحي غزة والقدس ونابلس حتى أفنى البقر في جملة من تلك النواحي، وكان قبلها حلّ في الدّيار المصرية فلم يُبقِ ولم يذر حتى خَلَتْ من الحيوان، وبقي فيها نحو سنتين، ثم جُلبتْ إليها الحيوانات من سائر الأقطار، وبِيعَتْ بأغلى الأثمان لاحتياجهم إليها، حتى أن الجاموسة بِيْعَتْ بعشرة آلاف وأزيَد، وكذا الخيل والإبل ونحوها بِيْعَتْ بأثمان بليغة، نسأل الله الدّفع عن جميع المؤمنين.

❀ ❀ ❀

3 ـ ☐ وفيها حصل وباء عظيم في الحاج بمكّة ومنى حتى هلك خَلْق كثير.

❀ ❀ ❀

(1) الهدلان: مرض من ظواهره ارتخاء الشفاه ويُسمّى (الحافور) عند العامة.

4 ـ ☐ وفيها كثر القرّاد على الحيوانات حتى أنك لتجد على عضو الدابّ الصغيرة ما لا يُكال، وإذا أُزيل عنه جدَّ غيره، وبالجملة وجدنا آفات هذه السنة من العَجائب كثرةً وغرابةً، وتظرنا في تاريخها فوجدناه موافقاً لفظ: ظهر الفَسَاد.



5 ـ ☐ وفيها جاء خورشيد باشا إلى بيروت والي صيدا، واعتقل رئيسي بلادنا علي بك الأسعد وابن عمّه محمد بك الأسعد[1] وأخذهما إلى بيروت ووضعهما في القشلة، وأغرى أهل البلاد بهما، فأقاموا عليهما دعاوى كثيرة، وبقيا في اعتقاله إلى أن عُزل، نحو ستة أشهر.

1 ـ ☐ ثم دخلت سنة الاثنين وثمانين، وكان تاريخها الفساد ظاهر بزيادة الألف في ظهر، وهو مناسب لبقاء تلك البلاوي السابقة، وزيادة فإن فيها انتقل

(1) إشارة إلى الآية 133 من سورة الأعراف ونصُّها: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

(2) علي بك الأسعد (1821 ـ 1865): علي بن أسعد النصّار، تولى أمر الحكومة الإقطاعية من قبل السلطنة العثمانية بعد وفاة عمّه حمد البيك وحمل لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة عُرف بحبّه لأهل الأدب والعلم وتقريبه لهم منه، وأجزل العطاء لهم وكان شاعراً ومن أشهر شعره قصيدته العينية التي مطلعها:

خَليليَّ ما هذا الجفا والتقاطعُ ... وماذا التَّحَاشي والدموعُ هَوَامِعُ

هذه القصيدة شرحها العلّامة اللّغوي الشيخ علي السبيتي في كتابه المشهور «الجوهر المجرّد في شرح قصيدة علي بك الأسعد». وله ترجمة وافية في موسوعة «أعيان الشيعة» للسيد محسن الأمين العاملي.

ومن الطرق الشعرية التي وقفت عليها في أوراق للشاعر المؤرخ العلّامة، الشيخ سليمان ظاهر، يقول العلّامة ظاهر أن مفتي بيروت الشيخ أحمد الأغرّ كتب إلى علي بك:

يا طالبَ الخيراتِ فُزْ إنّ عليّاً بَابُها ... في باب كلِّ صَنيعةٍ تدخلُها بَوّابُها

فأجابه علي بك:

نورُ الهداية مِنْهُ يَتصعدْ ... هذا الأغرّ أخو التقى

يا طالبَ العلمِ النفيسِ مدينةٌ للعلم أحمدْ

وفي هذا تضمين للحديث النبوي الشريف: «أنا مدينة العلم وعليّ بابُها».

أما الرئيس الثاني الذي ذكره المؤلف هو محمد بك الأسعد ابن عم علي بك الأسعد ورئيس فرسانه ومعاونه في إدارة البلاد وتوفي معه بالشام وبالدّاء نفسه بعيدين عن الأوطان.

الوباء إلى مصر وأفرط في هَلاك الأنفس، وكثرت الضّفادع في جملة من المواضع، وأشبه عصرنا عصر قوم فرعون بالجراد والضفادع والقمل والدّم آيات مفصّلات[1]، ثم فشا الوباء في بيروت والشام، وغالبَ البلاد، وبه مات علي بيك وابن عمه المذكوران بالشام، وكانا قد نُقلا من بيروت بعد عَزْل خورشيد باشا ومجيء رُشدي باشا حكمداراً على بلاد الشام كلها من اللاذقية إلى غَزّة، فأخذهما معه إلى الشام، فأقاما شهراً، فحصل الوباء وكانا من أوّل مَنْ مات به، عفا الله عنهما بِمَنّهِ وكرمه، ولعمري لقد انهدّ بموتهما ركنٌ عظيم طالما كان المجد بأكتافه يُقيم، لكنه الموت لا مفرّ منه، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.



2 ـ ☐ وبها رجع الجراد مرّةً ثانية إلى البلاد، فأظهر في الأرض الفَسَاد، وأكل جملة من أرزاق العباد، وبواسطة وجوده في تلك السنة والتي قبلها، حصل غلاء عظيم؛ لكن تَدَارك الله باللّطف مجيء الحنطة والشعير والذرة والدّقيق من بلاد الترك وغيرها من بلاد أُرُبا (أوروبا)، إيطاليا وغيرها.



3 ـ ☐ وفي تلك السنة حصل خُلْف بين أهل بنت جبيل، الذين هم مسلمون شيعة وأهل عينبل (عين إبل) نصارى كاثوليك وروم، وصار فيه قَتْل وبعض السّلب، فحضر الحكمدار واعتقل جملة من أهل بنت جبيل ونَفَاهم إلى بيروت وطرابلس وقلعة الحُصْن، وأحرق بعض البلد وأحرق (طربيخا) بأسرها لِقَضية وقعت بين رجل من أهلها يُسمى جولان، وبين واحد من النصارى من بعض قُرى صفد، فقتله جولان وهرب، وكان جولان فاتكاً قد دوّخ الناس بالسرقات والقتل، فشدّد الوالي في طلبه، فقبض عليه وأرسله إلى حبس عكا، فهرب في الطريق، بعد أن فتك في من كان معه من قِبَل الوالي، وكاد أن يُجهز عليه، ثم قُبض عليه بعد ذلك، وأُحرقت البلاد لأجله ونُهبت، ثم إن الوالي أمر باعتقال أحد الوجوه،

(1) إشارة إلى الآية 133 من سورة الأعراف ونصُّها: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

الحاج حسين فرحات ومحمود بزّة وأحد العلماء: ابن خالي الشيخ حسن سبيتي والسيد محمد أمين، فأخذهم إلى بيروت وبقوا في الاعتقال نحو عشرة أشهر، وكان خروجهم بعد الوالي المذكور ومجيء مُخلص باشا مكانه، وكان مُخلصاً كاسمه، وقد واجهته وجرى بيني وبينه مُسامرات ومذاكرات، وكان حليماً حكيماً، أقام في بلاد الشام أقلّ من سنة وعزل ولم يصنع في مدّة حكومته شيئاً مع أحد، زوّده الله التوفيق أينما توجّه.

❁ ❁ ❁

1 - ▢ ثم دخلت سنة الثلاث وثمانين، وفيها، في خامس رجب ليلة الأربعاء، لِسِتّ ساعاتٍ خَلَوْنَ منها، كثر وقوع الشّهب على خلاف العادة، حتى ما بقي نجم إلّا وتخيّل أنه وقع منه شهاب، واستمر ذلك إلى الساعة الحادية عشرة في تلك الليلة، ولم نَرَ ولم نسمع ولم يُنقل لنا مثل ذلك، إلّا ليلة ولادة نبيّنا ﷺ، وما أظن وقوع هذا الحادث مثل ذلك أو قريب منه.

فَتَفَطّن ولا تغفل ولا تعتبر بكلام من يزعم من النصارى أنه يحدث في كل أربعين سنة مرّة، فإنّا قد تجاوزنا الأربعين من السنّ، ورأينا من تجاوز الستين والسبعين والمائة، ولم يذكر لنا ذاكر ولا تكلّم به مُتكلّم ولا رواه راوٍ ولا أرّخه مؤرخ ولا حدّث به حكيم ولا منجّم، وكأن هذا الزاعم يُريد الرّدّ على المسلمين، حيث يحكمون بأن الشهب ترمي بها الشياطين، وأنهم ليلة ولادة عيسى حُجبوا عن السماء الرّابعة وليلة ولادة نبيّنا محمد ﷺ حُجبوا عن سماء الدنيا، والكتاب العزيز صدع بما حكموه من رمي الشياطين بتلك الشّهب، قال تعالى في سورة الصّافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝٧ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾(1) وقال في سورة تبارك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾(2). ونحن نسأل الله سبحانه أن لا يُزيغ قلوبنا عن شيء ممّا دلّنا عليه في كتابه. فإن قلتَ: ما تقول في

(1) سورة الصّافات، الآيات: 6 - 7 - 8 - 9.

(2) سورة تبارك (الملك)، الآية: 4.

ما ذكره الحكماء أن الشّهبَ تحدث في الطبقة الثالثة من الهواء، بواسطة قرب الأبخرة من كُرة النار؟

قلتُ: لا يُلتفت إلى كلامهم، حيث إنهم يتكلمون عن تخمين وظنون لا تُفيد علماً ولا عملاً، كما يرتاب فيه من كان له خبرة بكلامهم، ومع ذلك فلا مانع من أن يكون الله بحكمته يُحدثُ هذه الشهب في كُرة الهواء بواسطة حرارة الأثير التي هي كُرة النار الحادثة من الأفلاك والكواكب، فتصحّ نسبة الشهب إلى كلّ من الكواكب كما في الكتاب، وإلى كرة الأثير كما يقوله الحكماء، ويكون الله سبحانه قد علم بدقائق حكمه وحكمته، الوقت الذي تسترق فيه الشياطين السَّمْع، فتُرمى بتلك الشهاب على النحو المذكور(1).

❁ ❁ ❁

2 - ▢ وفيها، في شهر رجب الموافق تشرين الثاني في الحساب الرّومي، وقعت سيول عظيمة في أماكن متعددة، أفسدت جملة من الطرق والمزروعات في جملة من الأماكن في بلادنا، وجاءت الأخبار بمثلها عن القسطنطينية حتى قيل أنّ الناس كادت أن تغرق في الأزقّة، وكذلك وقع في جمادى الآخرة في حلب ونواحيها وديار بكر واستصحبه ثمة صَوَاعق وبُروق أهلكت جملة من الحيوانات والعمارات.

❁ ❁ ❁

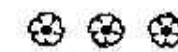
3 - ▢ وفيها كثر المطر في أوائل السنة، قبل فصل الشتاء، وتقدّم عن عادته أكثر من ثلاثين يوماً وصار الربيع في بلادنا في الخريف قبل أوانه، وهي سنة يظهر عليها الخصب، نسأله تعالى أن يوافق خاتمتها الفاتحة.

❁ ❁ ❁

(1) إن قول المؤلف إنه لم يَرَ ولم يسمع ولم ينقل إليه إلخ... لا يعني بالضرورة أن هذه الظاهرة الكونية ليست مستمرة. فعندما تقترب الأرض من منطقة ما يسمى بـ «الكوكبيات» وبفعل الجاذبية تدخل أجزاء من هذه الأجسام المتناثرة في جوّ الأرض وتحترق. وقد يحدث هذا في أي مكان من العالم وتُشاهد في مكان دون آخر.

عصيان في كسروان

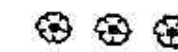
4 ـ ☐ وفيها بل كان ابتداؤه في سابقتها، عَصَا جبل كسروان، وهو قطعة من جبل لبنان، وأهله نصارى، على الدولة، وتوجّه إليه جملة من عساكر الدولة، ووقع بينهم حروب جمّة، وكانت الغلبة أكثرها لعساكر الدولة، ولم تزل الحرب حتى استولوا على الجبل واختفى رئيسه يوسف كرم[1]، وإلى الآن لم يُظفر به، وكان قد انضمّ إليه الأمير سليمان الحرفوشي، وأصيب في بعض الوقعات واختفى في كهف فدُلَّ عليه، فأخذ حياً بعد أن كاد يسلم ممّا أصابه، وأُتي به إلى الشام ومات في ليلة قدومه بعد أن واجه الوالي، وكان الأمير سلمان هذا قد صار له عاصياً نحو أربع سنين، وكان فاتكاً شجاعاً لا يقوم له أحد، وقد حصل له وقعات كثيرة مع الدولة والأكراد والعرب، وفي كلها أو جلّها يكون الظفر له، وربما كان يفرّ أصحابه ويبقى وحده فيحارب السرية أو الجيش الذي يبلغ ألفاً وأكثر، وينتصف، وبالجملة قلّما أو ما سمعنا بمثله في أعصارنا، عفا الله عنه.



5 ـ ☐ وفيها خرج نصارى جزيرة جريد على الدولة ولم يُؤدّوا التكاليف المفروضة عليهم من السلطان، فقصدتهم العساكر السلطانية وأعانها مسلحو الجزيرة، وجرت بينهم وقائع كانت أوائلها سجالاً ثم ظهرت الغَلَبة للعساكر السلطانية.



6 ـ ☐ وفيها طلب السلطان من سائر مَمَالكه مالاً غير الموظّف معونةً بلغت مبالغَ من المال، وظهر بواسطة ذلك وما هو حاصل من الجراد والكساد الضعف على الرعية، وصار للدرهم والدينار مكانة عظيمة عند سائر الناس، وزاد الحرص عليهما لقلّتهما سنة 1287 هـ



(1) يوسف بك كرم (1822 ـ 1889): لبناني ماروني اشتهر ببسالته في مقاومته العثمانيين.

سنة 1287هـ

7 ـ ☐ وفي سنة سبع وثمانين، في أواخر آب الرّومي، طلبت الدولة عسكر الرَّديف[1] للتعليم، فأخذت من كان أعطي تذكرة، من سنة ثمانين وسنة واحد وثمانين.

وفي هذه الأيام كانت نار الحرب مضطرمة بين دولة بروسيا ودولة فرنسا والأخبار ترد في الغازطات (الصحف) والتلغرافات بالعجائب من شدّة الحرب وكثرة المقتولين على وجه المبالغة، نسأله تعالى أن يسلّم المسلمين من الأذى والدخول في هكذا حروب.

لم تزل الحرب إلى أن أسر البروسيون نابليون ملك فرنسا في قلعة سيدان، وأسروا معه مائة ألف نفس، فاستولوا عليهم بأمتعتهم وأسلحتهم وخيلهم وذخائرهم، بعد أن كان جرى لهم جملة حروب على نهر الرّين وغيره، وهلك خلق لا يُحصى، وعَقِبَ أسره، أخذوه والأسرى إلى بلادهم، وأوغلوا في بلاد فرنسا يفتحون البلاد إلى أن وصلوا إلى باريس، قاعدة مملكة فرنسا، فلم يزالوا حتى فتحوها في أوائل شباط من تلك السنة.



☐ قصيدة للشاعر الأديب الحاج محمد رضا الأُزري[2]، قدّس الله روحه:

لمن المعرّف مكة فمقامُها	بذخت على الشُّمّ الرعان أكامُها
من أَرْبَعٍ عَرَكت بمنكبِها السُّهى	فخراً وأَزْرَتْ بالجُمان سِلامُها[3]
سرعان ما صَاحَ الغُدَاف بشَمْلِهَا	فتفرّقت أيدي سبا أعلامُها
وأنا الفِدَاءُ لظاعنين تحمّلوا	والمكرُمات فأين منك مَرَامُها
ساروا بأَذيّ[4] السَّرَاب تُقِلُّهمْ	فكأنّهمْ فُلْكٌ طغى قَمقامُها[5]

(1) الرَّديف: الخدمة العسكرية الإجبارية، عسكري احتياط.

(2) الحاج محمد رضا الأُزري (1162هـ ـ 1240): ولد وتوفي في بغداد، كان حافظاً للشعر الجاهلي والإسلامي. شاعر وجلّ أشعاره في مدح أهل البيت. انظر: أعيان الشيعة.

(3) السِّلام، مفردها السَّلِمَة: الحجارة.

(4) الأذيّ: الموج.

(5) قمقامُ: من معانيه البحر أو معظمه.

مَلكتَ الخافقين فتُهْتَ عُجباً وليس هما سوى قلبي وقرطِكْ

⊛ ⊛ ⊛

ولعمْري لقد أجاد وفاق، البَهَا زهير، في قوله:

لا تُنكروا خَفَقانَ قلبي والحبيبُ لديَّ حَاضرْ
ما القلبُ إلاّ دَارُهُ دُقَّتْ له فيها البَشَائرْ

☐ قلتُ وعلى ذكر القرط وخَفَقان القلب، ذكرتُ قولي وقد أرسلته من العراق إلى بعض أصحابي في بلادنا عاملة:

وَمَا حيلتي إلاّ الدمُوعُ وإنّها غَوالٍ وأمّا إنْ ذُكِرتُمْ فَتَرْخصُ
وإلاّ ضلوعاً كالحَمَائِمِ غَاقَها عن الجوّ لا تَعلو جَنَاحٌ مقُصّصُ
وقلبٌ كَقِرْطٍ فوق جيدِ مُهَفْهَفِ تَرَاهُ إذا ما صفّق الرّيحُ يَرْقُصُ
وإمّا اغتَراه آخر الليل هَذاةٌ بَدَتْ نارُهُ من تحت أُذنيه ترمُصُ

⊛ ⊛ ⊛

☐ لبعضهم:

لِمَنْ زُحلوقةٌ زلُّ بها العَينانِ تَنْهَلُّ
يُنادي الآخرُ إلاّكَ ألا حِلّوا ألا حِلّوا

⊛ ⊛ ⊛

☐ للحسين أبي منصور الحلّاج لمّا أُخضِر للقتل[1]:

(1) ابو منصور الحلّاج: كان صُوفياً زاهداً، قدم من خراسان إلى مكة، قال عنه شيخ الصوفية في عصره عبد اللّه المغربي إنه يتصبّر ويتقوّى على قضاء اللّه، ثم جاء بغداد فمال إليه نصر الحاجب، حاجب الخليفة المقتدر العباسي، ولكن الوزير حامد بن العباس طلبه وألحّ على الخليفة بأخذه لإعدامه لشهادة قوم عند حامد بأنّ الحلّاج يدّعي النبوّة وأنه على صلة بالجنّ وأنه يدّعي القُدرة على إحياء الموتى، وعندما رفض الخليفة الإذعان لطلب وزيره ألزم الوزير القاضيين أبو عمرو وأبو جعفر البهلول بكتابة حُكم بإباحة دم الحلّاج الذي رفض الإقرار بالتّهمة ودافع عن نفسه بأنه مسلم ويعبد اللّه على مذهب أهل السنّة، ولكن الوزير أخذه فضرب وقُطعت أوصاله ثم أحرق وذلك سنة 309هـ. انظر: الكامل، لابن الأثير، م8، ص

مللتُ المُستَقَرَّ بكلّ أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مُسْتَقَرّا
أطعتُ مَطامِعي فاستعْبَدتني ولَوْ أنّي قنعتُ لكنتُ حُرّا

وله أيضاً إذْ ذاك:

وحُرمةِ الودّ ما لي عنكمُ شغلٌ وليس لي غيركم يا سادتي غَرَضُ
ومنْ جنوني بكمْ قالوا به مَرَضٌ فقلتُ لا زَالَ عنّي ذلك المَرَضُ

من أحداث سنة 1288 هـ:

1 ـ ● وفي سنة ثمانية وثمانين، وقع الصلح بين فرنسا وبروسيا بعد الحرب الذي تقدّم في سابقتها، على مالٍ مخصوص قدره أربعة مليارات، تأخذها بروسيا عوضاً عن مصاريفها، وعلى خمس مقاطعات من بلاد فرنسا تتبع بروسيا، وانعقد الصلح على ذلك بمحضر وكلاء من سائر الدول المتحاربة، ثم خرجت عساكرها من أرض فرنسا، وغِبّ خروجها وقع عصيان في باريس[1] من الفقراء والجهّال على الحكومة، وجرت جملة وقعات في ذلك.

⊛ ⊛ ⊛

2 ـ ● وفيها فَرَّخ الجراد الذي كان قد قَدِمَ في أواخر سابقتها إلى الديار الشامية، وأكل جملة من المزروعات الشتوية والصيفية والأشجار من تين وزيتون وغيرها.

ولقد شاهدنا من كثرته عجائب، ومن أعجب ما شاهدته أنه أقبل علينا من جهة الجنوب، فجلسنا مقابله ننظر إليه، وأقبلت جنوده متواترة صفوفاً كالعساكر على وجهٍ غطّى الجوّ كالغمام المُتراكم، ولم يزل ينبع من الظهر إلى المغرب، فكان عرضه من أمامنا قرية (حَنَويه)[2] إلى البحر أربعة أميال، وطوله من أول (العقيبَة)[3] في طريق

* في طبعة هذا الديوان، وانظر: **شخصيات قلقة في الإسلام**، لعبد الرحمن بدوي، من وضع وتعليق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.

(1) يشير المؤلف إلى ثورة العمال الفرنسيين المعروفة بـ «كومونة باريس» La Commune de Paris, 1877. انظر: **تاريخ اوروبا**، تأليف ف. أل. فيشي، دار المعارف 1964، ص 301.

(2) قرية حَنَويه: هي بلدة المؤلف تبعد 8 كلم عن مدينة صور شرقاً (آرامية وتعني حنين).

الناقورة[1] إلى أول بساتين صيدا طولاً، مسافة ستة فَرَاسخ، وعمقه من الأرض إلى الجوّ، تحت الظنّ، نحو من ثلاثة أميال، فسبحان من كوّنه ورتّبه، وبحمده تعالى وفضله نظرنا فيما بقي من الأغلال عن أكل الجراد، فوجدنا حاصلَهُ أضعافاً مضاعفة وعلى وجه قلّما رأينا مثله في بلادنا، فقد حصّل في بعض الأمكنة المُدّ[2] ستين وسبعين مُدّاً، وبواسطة ذلك، عند طلوع البيدر، حصل رُخصٌ مُفرط، حتى بِيْعَ المدّ الحنطة الذي وزنه ثماني أُقَق، بسبعة قروش بعد أن كان يباع بخمسة وعشرين قرشاً وبيع البطيخ أربع أقق بقرش، والقِثّاء ثماني أقق بقرش، وكان قد أفرط الغلاء في بلاد العراق والعجم، لا سيما في خراسان وقزوين ويَزْد، حتى أنهم أكلوا كافة الحيوانات، مُحَلّلة ومُحَرَّمة، وهلك من الجوع خلق كثير لا يُحصي عددهم إلّا اللّه، ثم لحق ذلك وباء عظيم هلك فيه جمع كثير، حتى أنه خرب من الغلاء والوباء في بلاد العجم جملة من المحلات.

ونُقل لنا أنه بِيعت الأُقّة من الخبز بخمسين قرشاً، ثمّ امتد الوباء إلى بلاد العثمانيين القسطنطينية وغيرها. إلّا أنه لم يكن شديداً بل كان خفيفاً جداً، يموت في القسطنطينية، على عِظَمها كل يوم ثلاثة أنفار أو أربعة أو خمسة إلى العشرة، وفي يوم زاد على ذلك، ولكنه مع ذلك طالت أيّامه. وفيها، كثرت الأمطار في شهري كانون، وربما اتصل المطر عشرة أيام والعشرين، بعد أن كاد اليأس منه يستولي على ضعفاء القلوب، والمرجو زيادة الخصب في هذه السنة إن شاء اللّه.

3 ـ ● وفيها، ليلة الاثنين خامس وعشرين ذي القعدة الموافق أواخر كانون الثاني بعد المغرب، ظهر في السماء حمرة عظيمة مهولة تُشبه لون الدّم، عمّت السماء من جهة الشمال من مهبّ الصَّبا إلى المغرب متصلة بالحضيض، ثم أخذت تعظم وتعرض حتى قاربت كبد السماء، وأخذت تتلوّن إلى بياض مُنير مُشرب بحمرة يظهر فيها ما يشبه الأعمدة، ولم تزل كذلك إلى ثلث الليل الأخير، فأخذت في الضعف، ولم يبق لها أثر قبل طلوع الفجر، فسبحان من بيدهِ أزِمّةُ الأُمور.

1 ـ ● **وفي سنة تسع وثمانين**، في محرّم، حصلت زلزلة عظيمة في أنطاكية

(1) **الناقورة**: بلدة جنوب مدينة صور، تقع قرب الحدود مع فلسطين المحتلّة.

(2) **المُدّ**: وعاء لكيل الحبوب ويساوي ما وزنه 15 كغ من الحنطة.

ربما يليها إلى بيروت وإلى حلب وما قاربهما، إلّا أنه لم يحصلْ ضرر في غير أنطاكية، فإنّ معظمها تهدَّم وهلك من الحيوانات والرجال والنساء ما لا يُحصى كثرة.

2 ـ ● وفي تلك السنة، حصل في مدينة روسجق، من بلاد الترك، صَوَاعق وبروق وظلمة مُفرطة أحرقت ما يقرب من نصفها في مدة خمس دقائق كما تواترت به الأخبار، وكان ذلك في أيام الصيف وحصل في حزيران وتمّوز أمطار عجيبة على خلاف العادة.

3 ـ ● وفيها انتقل إلى رحمة اللّه المرحوم المبرور خدين الولدان والحور، العالم العامل الفقيه الطبيب ذو الأخلاق الرضيّة النجيبة والفراسة المُرْضية المصيبة، ابن خالي وابن أختي الشيخ حسن سبيتي، طاب ثراه، فثلم فقده في البلاد ثُلمةً عظيمة، ورثيتهُ بقصيدة مشهورة.

ثم توفي بعده بأشهر ابن أخيه الشيخ محمد ابن الشيخ علي سبيتي، الرئيس في المدرسة الرّشدية في صور، وكان ولده المذكور، المُعيد درس أبيه في المدرسة المذكورة، وكان نابغة في العلوم العربية واللغة التركية، وكان من العقل والدّيانة بمكان، تغمّده اللّه برحمته وأسكنه بحبوحة جنّته.

وتوفي في تلك السنة، جُملة من الأعيان وغيرهم، بواسطة كثرة الأمراض على خلاف المعتاد.

4 ـ ● وفيها ليلة الخميس، سابع وعشرين رمضان، كثُر تساقط الشهب من الجهات الأربع على وجه يخرج من كل جهة[1]، والدفعة الواحدة تضمُّ الثلاثين والأربعين، وبقي ذلك إلى الساعة الثامنة من تلك الليلة فسبحان المكوّن.

5 ـ ● وفيها في ذي الحجّة، حدث عند العصر، في بعض أيام ذلك الشهر، زلزلة في أكثر الديار الشامية، بصور وعكا وحيفا وما والاها من البلاد، وكان قد حدث في تلك الأيام حرّ عظيم على خلاف المعتاد، وكان ذلك في فصل الشتاء،

(1) مصدر هذه الشهب والنيازك الصغيرة المعروفة بـ «دراكونيك»، المذنّب «جياكوبيني»، الذي اكتشفه هذا العالم فعُرِف باسمه.

وكانت تلك السنة قليلة الأمطار، حتى أن عامة البلاد جفّت فيها النبوع، وانتهى فصل الشتاء وعامة الربيع، والأمر يزداد تفاقماً، وحصل نقص في غالب الزروع، وتذكرنا قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[1] اللّهم لا يأتينا به إلا أنت فالطفْ بنا وارحمنا ولا تُؤاخذنا بسوء أفعالنا.

6 ـ □ وفيها من أوائلها، بل السنة التي قبلها، وجّهتْ الدولة العثمانية العساكر على خطّة اليمن، وافتتحت ما كان خارجاً عن الطاعة كجبل عسير ونحوه، وفي أثناء تلك الوقائع، ظهر رجل ادّعى أنه المهديّ. وتسمّى بمحمد بن عبد الله، واستغوى جملةً من أهالي تلك البلاد، وحصل بينه وبين العساكر العثمانية جملة وقائع وفي آخرها وقعت الغَلَبة عليه وهرب، وإلى الآن لم يظهر له خبر.

1 ـ □ وفي **سنة تسعين** حصل زلازل متفرّقة في أماكن مختلفة، منها شديد وضعيف.

2 ـ □ وفيها في ثالث عشر رمضان، حصل في القمر خَسْف احترق القرص كله، طلع وهو منخسف، ولم يتمّ انجلاؤه، إلّا بعد مضي ثلاث ساعات، فيقدّر خسفه تحت الأرض مثلها، يكون المجموع ست ساعات، وهذا قلّ ما يحصل مثله.

3 ـ □ وفيها في ثلاثٍ وعشرين ليلة خلَت من رمضان، حصلت أمطار غزيرة جيدة بعد أن كان قد انقطع غزارة المطر أكثر من سنة كاملة، كما تقدّم، فانتعشت البهائم والناس ونبتت الزروع، نسأله تعالى أن يجعلها سنة خير، إن شاء الله.

4 ـ □ وفيها خرج سلطان العجم، أحمد ناصر الدين شاه[2]، فساح في البلاد الأوروباوية وغيرها، فرجع في نحو نصف سنة، وكانت سياحة في المركبات النّارية برّاً وبحراً، فجال في البلاد الروسية ودخل عاصمتها التي فيها الملك، وهي بطرس برج، ودخل لندرة عاصمة بلاد الإنكليز، ثم رومية بلد البابا، ثم بلاد النمسا

(1) سورة الملك، الآية: 30.

(2) ناصر الدين شاه (1831 ـ 1896): وُلد في طهران، شاه إيران من سلالة قاجار 1847، تجوّل في أوروبا وفتح أبواب بلاده للمدنية الحديثة، انتشرت البهائية في عهده. اغتاله ميرزا رضا الكرماني.

وروسيا وغيرها، ثم جاء إلى القسطنطينية، ثم رجع إلى بلاده فارس، وأنفق في السياحة أموالاً عظيمة، وتلقته الملوك التي زارها أعظم تلقٍّ، وقدّمت له من التحف ما لا يُحصى، وحصل له من الصيت ما لم يحصل لغيره قبله.

5 ـ □ وفيها على ما أخبرت به بعض الجرائد، حصلت زلزلة ببلاد اليونان، هدم فيها ألف بيت.

1 ـ ● ثم دخلت **سنة الواحد وتسعين**، وكان ابتداؤها أول محرّم ليلة الأربعاء، وبها تلاحقت الأمطار يتلو بعضها بعضاً، حتى مضى فصل الشتاء وجملة من فصل الربيع وهو لا ينقطع إلّا في كل شهر يومين أو ثلاثة، وربما انقطع في بعض الأسابيع يوماً أو يومين، وعاد كل ذلك مع البرد الشديد والثلج الكثير، حتى هلكت أكثر البهائم في أكثر البلاد من كثرة البرد ونفاد الأزودة والأعلاف وقلّة وجودها بواسطة محل السنة السابقة، ومات جملة من الناس دَنَفاً وجوعاً، وعظمت المجاعة في كثير من الأقطار، لا سيما إنكلترا من بلاد الهند، ولم تزل الجرائد تأتي بتفاصيل ذلك بالعظائم. وقد قلت مؤرخاً هذه السنة:

يا سنةً قد مثّلت … في الناس طُرّاً مِثْلاَ
هذا صريعٌ دَنَفاً … وذا يجوع قَتْلاَ
والحال في تاريخها … جَهْلٌ وبَرْدٌ وغَلاَ

1291 هـ